



الأستاذ Malandrino من Gillette

في اليوم التالي كان لي موعد لاستئجار شقة. كانت مدينة لشبونة رائعة، لكن إيجاراتها تكاد لا تُحتمل، فاضطرت إلى أن أنتهي عند آخر تخوم العاصمة، في ضواحيها التاريخية: أمادورا بورديا.

كانت المنطقة ذات طابع خاص لأنها تحتضن موطن الجالية الأجنبية في البرتغال، لكنها لا تضم مواطني البرتغال وحدهم — بل بعض المتسللين أيضاً، مثلي.

جاء الأب وابنه لاستقبالي، لكن ما إن دخلت البيت حتى أرياني سريراً من طابقين أتقاسمه مع ثلاثة آخرين، في غرفة مساحتها 9 أمتار مربعة، في شقة من ثلاث غرف، فيها تسعة أشخاص، وحمّام واحد، ومطبخ صغير، وثلاث ثلاجات، وصرابير تقيم فيها ضيوفاً دائمين — كل ذلك في نحو 60 متراً مربعاً، مقابل 230 يورو في الشهر.

بقي لي بذلك 70 يورو بالضبط في الشهر لآكل وأعيش، لكنني فهِمت شيئاً آخر: كنت ألتقي دورة في الطريقة التي ينبغي أن يتعلّم بها الفقراء إدارة الثروة — وهذا ما لا يعلمه أحد.

واحدًا تلو الآخر، جاء الشبان يعرفون بأنفسهم، يذكر كلٌّ منهم اسمه وبلده، وهم يراقبونني ليعرفوا كيف سأصرف، وهل أنا عنصري.

منحت كل واحد منهم ابتسامة وتحية بلغته: أنغولا، مقديشو، ساو تومي، البرازيل، البرتغال، الصين، روسيا، والسعودية.

في ذلك المساء دعوني إلى عشاءهم — كانوا قد رتبوا المناسبة ترحيباً بي. كنت أكبر المجموعة سناً، وبعد 20 دقيقة من حديث نجول مع الجميع، ولدت هويتي البرتغالية الجديدة لحظة سمعهم ينادونني:

الأستاذ Malandrino

كانوا جميعاً شباناً تركوا خلفهم أمهات أو زوجات أو حبيبات، بعيدين عن بيوتهم وعمّن يحبون، فقررت أن أروي لهم قصة حقيقية من تجربتي — وفي المقابل أحصل من كل واحد منهم على ردّ فعل يعينني على قياس طبعه وشخصيته. لم يكن أحد منهم يعرف طريقي.

أخبرتهم أنني في عام 2021 سمحت لنفسي بإجازة في البرازيل، في مدينة ناتال — مكان معروف بكثبانته وطقوسه المحلية — حيث كانت الفتيات، حين ينقلب النهار ليلاً، ينزلن من أعلى الكثيب مشياً إلى

الوراء، ويشققن طريقهن نحو كل رجل ينتظر في الأسفل ثابتاً لا يتزحزح، ليتعرّفن إليه ويبينن علاقات جديدة، وربما مستقبلاً لهن.

بقيت في تلك المدينة أربعين يوماً — كان ذلك حقاً حجري الأربعيني البرازيلي — لكنني لم أشارك في اللعبة قط. بقيت متفرجاً، أراقب.

اليوم أدرك، أكثر من أي وقت مضى، كم أفادتني حقاً معرفة البرازيل — حتى مع المجيء غير المتوقع للرئيسة التنفيذية لشركة Gillette — وإن سألتني يوماً عن وطنها، أمكنني أن أقول لها:

طقس الكثبان،

أعرفه،

لكنني لم أشارك فيه قط،

لأنني لا أعرض على أحد مستقبلاً،

بل الحاضر فقط.

أكثر ما أثارني في تلك المدينة حكايتي مع ابنة رئيس الجامعة، وقد التقيتها مصادفةً مساءً يوم اثنين في حفلة للعزّاب.

وصلت ومعى 100 بطاقة ورقية أعددتها، عليها اسمي ورقم هاتف برازيلي، تبادلتها مع نساء المكان — اللواتي أعجبني وقلن إنهن عازبات أو مطلقات أو أرامل. في اليوم التالي وجدت أربعاً منهن في السوبرماركت يتسوّقن مع أزواجهن وأولادهن، ولم يتبادل كلمة، بل نظرات صامتة فحسب.

كاميلا، ابنة رئيس الجامعة، كانت امرأة جميلة جارفة. هي التي أخذتني إلى بيتها في الثانية بعد الظهر وأخرجتني منه في العاشرة ليلاً، وهناك فهمت أن زميلي في الأعلى أراد أن يعاقبني — أن يفهمني أن امرأة واحدة تستطيع أن تهزم ألف رجل، لكن ألف رجل لا يستطيعون أن يهزموا امرأة واحدة.

ومن دون الدخول في التفاصيل، أخذتها بعد ذلك مباشرة إلى العشاء في مطعم إيطالي وطلبت زجاجتين من النبيذ الأبيض و14 حبة كركند لها وحدها. سألتني النادل البرازيلي هل أريد شيئاً من bruschetta، لكن الإنهاك — أو سمعي الغدار — جعلني ألتقط الكلمة «bussetta»، وكنت منهاكاً أصلاً ومستعداً للفرار.

كان كل الشبان في الغرفة يضحكون وكأنهم منوّمون — كانوا ما زالوا عالقين عند نسخة Amazon ذات الاثنتي عشرة صفحة عن كيف يُباع الحب. كيف لي أن أكل من دون أن أجازف بأن ينفجروا؟

أنهيت الحديث وذهبت إلى النوم.

في الصباح التالي كان كل من في البيت يردد «bussetta برازيلية» و«bussettero»، وهي كلمة تعني في إسبانية كولومبيا سائق الحافلة — لكن اللعب بالكلمات رسم الابتسامة على وجوه الجميع على أي حال.

غادرت في 22 نوفمبر 2025، وأسف الجميع لرحيلي — حتى الصراصير التي كانت تنام معي في سريري مرّت بلحظة حزن، لأنك في تلك اللحظة وحدها، حين تكون قد سعدت مع أحد ثم يرحل، تفهم ما لن يكون لك بعد اليوم أبداً.

فرديناندو

Gillette ← PDF، القطعة الناقصة

استكشف الملاحم الأخرى

· Vatican · One Door · Genesis · Opera · Wood · المكتبة · الخرائط · The Corpus

اتصل بنا